الباب الأول

حاجة المعلم لدراسة المناهج

مفهوم المنهج

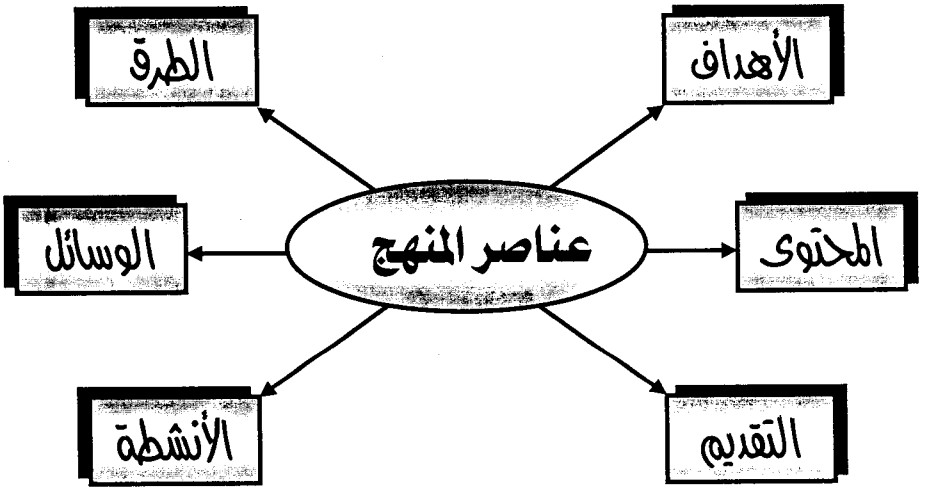
عناصر المنهج
الأهداف
المحتوى
التقديم
الأنشطة
الوسائل
الطرق

حاجة المعلم لدراسة المناهج

إن المعلم فى ممارسته لمهنته ليس ناقلا للمعرفة ، وإنما هو مرب للتلميذ ـ كشخصية إنسانية ـ من جميع جوانب حياته كخليفة لله فى الأرض ؛ لذلك فالمعلم حجر الزاوية فى العملية التعليمية ، وعليه يقع العبء الأكبر فى نجاحها ؛ وإن أى نقد أو هجوم يوجه إلى العملية التعليمية يوجه عادة إلى المعلم بالدرجة الأولى ، كما أنه يعد الركيزة الأساسية لنجاح تنفيذ أى منهج ؛ لذلك فهذا المعلم فى حاجة ماسة إلى دراسة المناهج حيث يقع على عاتقه العديد من المسؤوليات المتعلقة بالمنهج ، وتبرز هذه الحاجة للأسباب التالية:

١ـ إن المعلم فى سعيه لتنفيذ المنهج مع تلاميذه بكفاءة يجب عليه أن يكون مدركًا لأهمية كل عنصر من عناصر المنهج من الأهداف ، والمحتوى ، والطرق ، والوسائل والأنشطة التعليمية ، والتقويم ودور كل منها فى المنهج وكيفية تفعيل كل عنصر من العناصر وعلاقته بالعناصر الأخرى من أجل إتمام عملية التنفيذ بالشكل الذى يحقق الأهداف المرجوة ، وهذا يتطلب من المعلم دراسة كل هذا فى علم المناهج فى ضوء التوجه الفكرى الذى يقوم عليه المنهج.

٢ـ لما كان بناء المنهج يعتمد على عدة أسس هى التلميذ والمجتمع والمعرفة والكون الذى نعيش فيه ، وقبل كل هذا وبعده هُدى الله الذى ينظم العلاقة بين كل هذه العناصر بعضها وبعض ويبين الحكمة من وجودها ؛ لذلك فعلى المعلم أن يكون على وعى وبصيرة بأبعاد ومغزى كل ذلك وقادر على تمثله ، والسلوك بمقتضاه فى المواقف التعليمية؛ ولذلك يحتاج المعلم لدراسة ذلك

دراسة واعية من خلال دراسته لعلم المناهج.

٣ـ قيام المعلم بتنفيذ المناهج الدراسية يترتب عليه أن يكون أشد إحساسًا من غيره بالمشكلات المترتبة على الممارسة والتنفيذ للمناهج ، ولكنه لا يستطيع أن يرد هذه المشكلات وما يلمسه من تخبط وارتجال فى تنفيذ المنهج إلى أصول ذلك أو تحديد الأسباب الكامنة خلفها ، إلا إذا كان دارسًا لعلم المناهج ، وعلى دراية بماهيته وأسسه وكيفية تخطيطه.

٤ـ المعلم باعتباره منفذا للمنهج لا بد من أن يكون له رأى فى سلبيات التنفيذ ومقترحات لعلاجها والعمل على تطوير هذا العمل ، أليس من حق المعلم أن يقول وجهة نظره فى المنهج ؟ وما يعترضه من مشكلات؟ وما يواجهه تلاميذه من صعوبات فى أثناء تنفيذ المنهج؟ أليس من حق المعلم نقد المنهج الذى يقوم بتدريسه من أجل إصلاحه وتطويره؟

بلى من حق المعلم كل هذا ، ولكن يُشترط أن يكون المعلم على دراية كاملة بمفهوم المنهج ومكوناته والتوجه الفكرى القائم على أساسه؛ كى يكون رأى المعلم قائمًا على أدلة علمية ومعايير يبنى عليها نقده ، وكل هذا لن يتيسر له إلا بدراسة المناهج دراسة واعية عميقة.

٥ـ نتيجة الاقتناع المتزايد بأهمية اشتراك المعلمين فى تخطيط المناهج وتطويرها ، شُكّلت اللجان وعقدت الجلسات التخصصية لإعداد أو تخطيط أو تطوير المناهج ، ومُثل فيها المعلمون تمثيلا جيدا وهذا الاشتراك لن يكون له تأثير فعال إلا إذا كان المعلمون على وعى كامل بالفكر التربوى ونوع نظرية المنهج التى يجب أن يبدأ العمل منها وينتهى إليها إلى جانب خبرة المعلمين فى الميدان التنفيذي.

مفهوم المنهج

إن القارئ فى مجال المناهج يستطيع أن يلمس بوضوح من خلال استعراضه لما كتب عن مفهوم المنهج أن هناك تأرجحًا بين مفهومين للمنهج:

الأول :

يطلق عليه المفهوم القديم أو التقليدى أو الضيق... إلى غير ذلك من المصطلحات والذى يشير إلى أن المنهج عبارة عن المواد الدراسية أو المقررات أو المعلومات والحقائق والمفاهيم التى تعمل المدرسة على إكسابها للتلاميذ ، وقد أدى هذا المفهوم إلى إهمال معظم جوانب العملية التعليمية ؛ ولذلك وجهت إليه الكثير من الانتقادات ، ورغم ذلك ـ وبكل أسف فإن هذا المفهوم التقليدى للمنهج ما زال مستخدمًا حتى الآن رغم أن مفهوم الإنتاج قد تغير تغيرًا جوهريًا.

الثاني:

يطلق عليه المفهوم الواسع أو الحديث أو التقدمي... وإلى غير ذلك من المصطلحات ، والذى يشير إلى أن المنهج هو مجموع الخبرات التربوية التى تهيئوها المدرسة للتلاميذ بقصد مساعدتهم على النمو الشامل ، أى النمو فى جميع الجوانب «العقلية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والجسمية ، والنفسية ، والفنية» نموا يؤدى إلى تعديل سلوكهم ويعمل على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

وعلى الرغم من أن هذا التعريف للمنهج بصورته الحديثة أكثر دلالة منه بصورته القديمة أو التقليدية . حيث أشار إلى أن المنهج مجموعة من الخبرات التربوية التى تعنى تفاعل التلميذ فى المواقف التعليمية ، إلا أن الأهداف التربوية المنشودة التى ينادى هذا المفهوم بتحقيقها تختلف من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى آخر طبقا لأهواء البشر فما قد يكون منشودًا عند فرد يكون ممقوتًا عند آخر وما يكون محمودا فى مجتمع قد يكون مذمومًا فى آخر ، فتبرج النساء وعريهن يُعد هدفًا منشودًا فى الدول غير الإسلامية ، بل وتقام له المسابقات وتوزع فيه الجوائز وتحدد فيه الفائزة الأولى باسم ملكة جمال العالم ويشاد بها فى كل وسائل الإعلام ، ولكن هذا يعد محرمًا فى الدول الإسلامية لحرمته فى شرع الله ، كما أن فصل البنين عن البنات وعدم اختلاطهم من السلوكيات الاجتماعية المحمودة فى الدول الإسلامية ، ولكن ذلك يعد تخلفًا وجهلا فى نظر الغرب وتوصف الدول الإسلامية بالتخلف من أجل ذلك ، وتطالبها دول الغرب بتطبيق حرية الاختلاط تحت مسمى التقدم والحرية والأمثلة كثيرة لمثل ذلك ؛ لذلك يجب تحديد المعيار الذى على أساسه تكون هذه الأهداف منشودة فى هذا التعريف حتى لا يختلط الأمر.

كما أن النمو الشامل الذى يزعمه أصحاب هذا المفهوم (التقدميون) فى نظرهم ليس فى حقيقة الأمر شاملا حيث ينقصه أهم جوانب تربية الإنسان وهو الجانب الإيمانى ، فيعتقد هؤلاء التقدميون أن التقدم لا يتأتى إلا بتحرر الإنسان من سلطان العقيدة الدينية التى تقيد العقل البشرى كما يزعمون ، وأن هذا العقل البشرى هو الذى يحكم على ما هو منشود لتطوير الحياة ورفاهيتها.

وهذا هو الفكر العلمانى الذى يشيد به هؤلاء التقدميون ويزعمون أنه تطور وتحضر.

ولكن لماذا خلق الإنسان ؟ وما وظيفته فى هذا الوجود ؟ ومن الذى يحدد هذه الوظيفة ؟ ! الخالق ، أم المخلوق !! ألم يحدد الله الغاية من خلق الإنسان قبل أن يخلقه فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٣٠] ، فالإنسان خلق ليكون خليفة الله فى الأرض ، أى مستخلفًا فيها .

كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]

فيجب أن تكون كل أعمال الإنسان على هذه الأرض عبادة لله ، فهو يعمرها ويطور الحياة عليها وفق هدى الله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢] .

وبناء على ما سبق يمكن تحديد تعريف المنهج الدراسى بأنه: « **منظومة الخبرات التربوية التى تهيؤها المؤسسة التربوية لتلاميذها لمساعدتهم على النمو الشامل المتكامل المتوازن(إيمانيًا ، وخلقيًا ، وجسميًا ، وعقليًا ، ونفسيًا ، وجنسيًا ، واجتماعيًا) بما يحقق خلافتهم لله فى الأرض وفق هُدى الله**» .

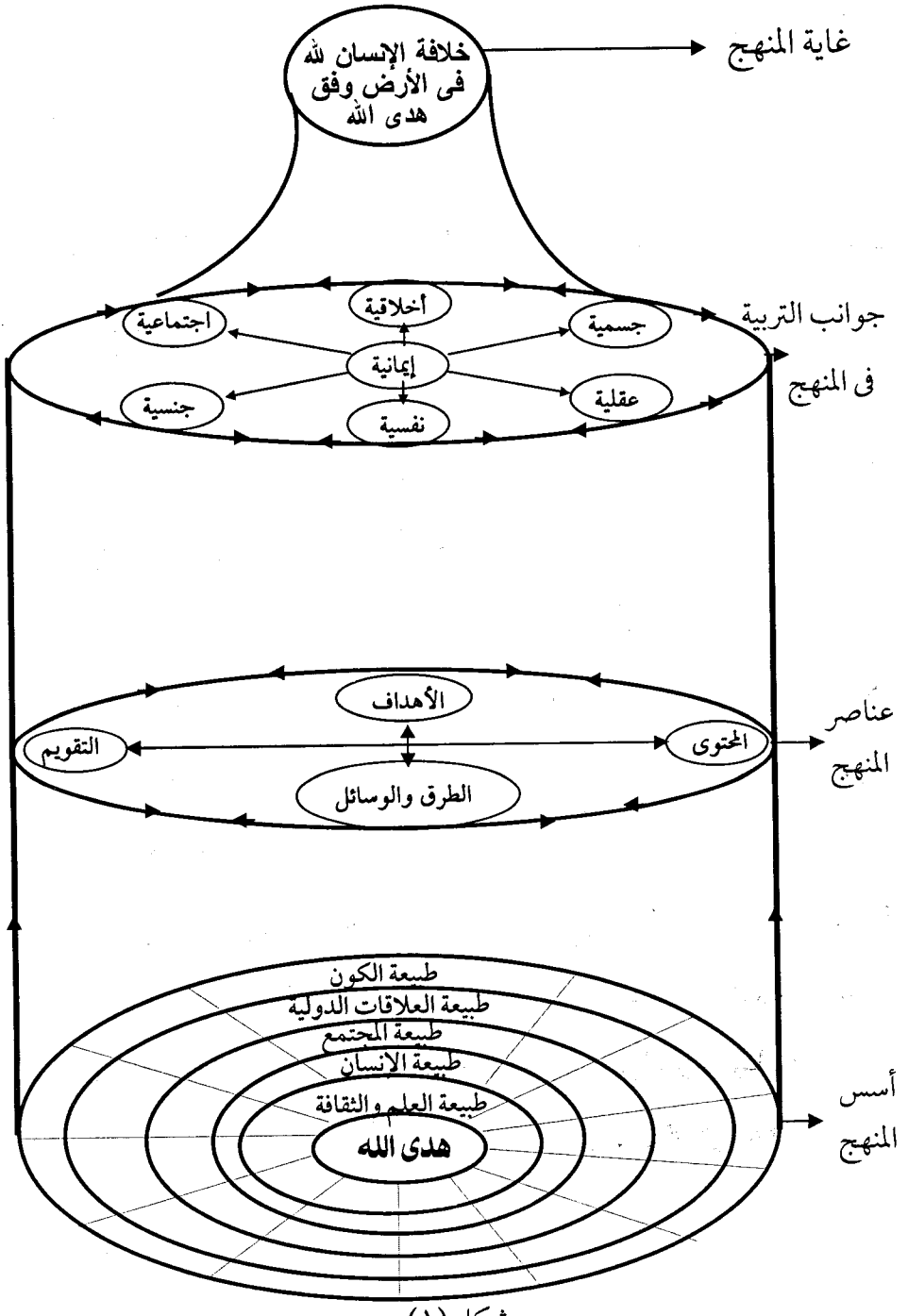

شكل (١)

يوضح منظومة المنهج

ومن هذا التعريف تتضح لنا الغاية النهائية لهذا المنهج وهو الناتج النهائى المنشود من التربية ألا وهو الإنسان الذى يحقق خلافة الله فى الأرض وفق هدى الله ، فكل المدخلات والتفاعلات والأهداف الفرعية لا بد أن تكون محققة لهذه الغاية ولا تخرج عنها.

على أننا يجب أن ندرك أن هذا المنهج وسيلة وليس غاية فى ذاته ، فهو وسيلة لتحقيق أهداف محددة منشودة تسهم فى تكوين شخصية خليفة الله فى الأرض الذى يعمرها ويطور الحياة فيها على منهج الله ويبتغى فى ذلك مرضاة الله ، فهذا المنهج هو الذى يتيح للفرد أن تتشكل شخصيته على هذا الشكل ؛ شخصية واعية للغاية التى خلقت من أجلها ، شخصية فاعلة فى تحقيق عمارة الأرض وتطوير الحياة عليها ، شخصية إيجابية تسعد نفسها وغيرها على السواء بما يُرضى ربها وخالقها.

ولكى يحقق المنهج ، الغاية منه فلا بد أن تكون هناك جهة مسؤولة لديها الخبرات والإمكانات البشرية والمادية وتستطيع أن تخطط لهذا المنهج وتنفذه وفق خطة علمية تربوية عامة ، فتخطيط المنهج يحتاج إلى العديد من الخبراء فى مجالات: المناهج ، وعلم النفس ، والتربية ، والاجتماع والإدارة والمواد العلمية المختلفة ، كما يحتاج لتنفيذه إلى معلمين أكفاء وهيئات إدارية مدربة فهذه مسئولية ضخمة أمام الله عز وجل ينتج عنها وحدة الأمة وتماسكها وقوتها وريادتها للعالم بما يحقق شرع الله وليست الشرعية الدولية المزعومة من أولياء الشيطان التى يريدون فرضها على الناس.

على أننا لكى ندرك مفهوم المنهج الذى عرفناه سابقًا فهمًا صحيحًا فإنه يجب

علينا بيان بعض المفاهيم التى وردت فى هذا التعريف وتوضيح المقصود بها؛ حتى لا تكون مصطلحات جوفاء لا معنى لها ، وحتى لا تفهم فهمًا مخالفًا للمقصود منها.

المنهج كنظام:

فالنظام عبارة عن تركيب من مجموعة عناصر ترتبط فيما بينها بشكل وظيفى تكاملى وتعمل وفق نسق معين لتحقيق أهداف محددة ، وعليه إذا حدث خلل فى أى عنصر من عناصر النظام أثر ذلك على كل النظام بأسره ، وأى نظام يعتبر عنصرًا فى نظام أكبر يشمل عدة نظم فرعية.

فالكون هو المنظومة الكبرى التى خلقها الله ، والحياة على كوكب الأرض منظومة فرعية من هذا الكون ، وحياتنا فى مصر الحبيبة منظومة أيضًا متفرعة من منظومة الحياة على كوكب الأرض ، كما أن هذه المنظومة تتفرع إلى نظم عديدة :نظام اقتصادى ، ونظام اجتماعى ، ونظام سياسي ، ونظام تعليمى ، ... والمناهج الدراسية هى جزء من النظام التعليمى وهكذا.

والمنهج كنظام يؤثر ويتأثر بباقى النظم الأخرى ؛ لذلك فإن بناء المناهج التربوية يستلزم أن يؤسس على مجموعة من الأسس التى هى بمثابة الركائز التى يؤسس عليها بنيان المناهج ، وتتكون هذه الأسس من : هدى الله ، وطبيعة العلم والثقافة ، وطبيعة الإنسان ، وطبيعة المجتمع ، وطبيعة العلاقات الدولية ، وطبيعة الكون . وهذه الأسس فى ذاتها منظومة تتأثر عناصرها بعضها ببعض ، فهدى الله هو الأساس الأول ، وفى نفس الوقت هو أساس

كل الأسس ؛ ولذلك فقد تم وضعه فى نموذج منظومة المنهج فى قلب هذه الأسس ، كما هو فى شكل (١) ويشع منه أشعة تعبر عن الهدى الذى يضيء كل الأسس التى تتسع فى شمولها لبعضها بعد ذلك كما هو موضح بالشكل ، وسوف نتناول دراسة هذه الأسس بالتفصيل فى الباب الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله .

والمنهج كنظام أيضا يتكون من مجموعة عناصر: أهداف ، ومحتوى وطرق ووسائل وأنشطة تعليمية ، وتقويم . وهذه العناصر يؤثر بعضها فى بعض وبينها علاقات تنظيمية تجعلها فى تفاعل مستمر بعضها مع بعض فعلى ضوء أهداف المنهج يتم اختيار المحتوى ، وفى ضوء الأهداف وطبيعة المحتوى يتم تحديد الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية التى عن طريقها يتم تحقيق الأهداف ، ثم يأتى دور التقويم من أجل التأكد من مدى تحقيق الأهداف المرجوة من المنهج ودور كل عنصر من عناصر المنهج فى تحقيق هذه الأهداف ، ومن ثم يتم تطويرها مرة أخرى فى دورة جديدة للوصول إلى نتائج أفضل.. وهكذا فهى دورات متوالية من التأثير والتأثر من أجل تحقيق الأفضل الذى لا ينتهى مداه ؛ لأن العمل البشرى لن يصل إلى الكمال ولكنه ينمو فى هذا الاتجاه.

والأهداف ، والمحتوى ، والطرق ، والوسائل ، والأنشطة التعليمية ، والتقويم تعتبر مدخلات النظام ، وبحدوث التفاعل بينها تتكون لدينا مخرجات هذا النظام وهى الخبرات التربوية والتى تشكل فيما بينها نظامًا متكاملاً ومتناسقًا ومتوازنًا وشاملاً لكل جوانب تربية الفرد: الإيمانية ،

والأخلاقية ، والجسمية ، والعقلية ، والنفسية ، والجنسية ، والاجتماعية . حيث إن كل جانب من هذه الجوانب يؤثر ويتأثر بباقى الجوانب وباكتساب الفرد لهذه الخبرات تتشكل لدينا شخصية الإنسان التى ننشدها «خليفة لله فى الأرض» وهذا الإنسان يعتبر الناتج النهائى لهذه المنظومة والذى بدوره سيقود مسيرة الحياة البشرية فى كل النظم على وجه هذه الأرض كخليفة استخلفه الله فى هذه الأرض ، وسيؤثر فى باقى النظم غير البشرية على وجه الأرض؛ لأنه سيد كل المخلوقات عليها.

ومن هنا ندرك أهمية هذا النظام «المناهج» فى إعداد هذه الشخصية فهى التى لها اليد الطولى فى التأثير على باقى النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية... فذلك النظام «المناهج» الذى يختص بإعداد الإنسان لهذا الدور الفاعل والقيادى على وجه هذه الأرض يكون هو أهم نظام فى النظم جميعها وإن كان هو فرعًا من فروع نظام أكبر منه.

المنهج كمنظومة خبرات مربية :

كى نفهم مفهوم الخبرة ، نتصور أن طفلا رأى شمعة مضيئة أمامه لأول مرة فمن الطبيعى أن يسعى هذا الطفل لاستكشاف هذا الشيء ، وسيحاول مد يده لتناول الشمعة وبخاصة الجزء المضيء منها ، وعندما يشعر بحرارة نار الشمعة وهى تحرق يده فإنه سيبتعد عنها فورًا ، ولن يحاول مرة أخرى أن يفعل ذلك ، هنا نقول : إن الطفل قد اكتسب خبرة نتيجة هذا الموقف ، وبتحليل هذا الموقف نجد أنه يتكون من:

١ـ شمعة مضيئة ذات بريق أثارت انتباه الطفل ، فهى مثير جذاب حرك مشاعر الطفل وحب استطلاعه.

٢ـ طفل عنده رغبة ودافعية لحب الاستطلاع فقد جُبل الإنسان فى تكوينه الفطرى على حب الاستطلاع ، وهذه هبة من الله للإنسان فطره عليها.

٣ـ فعل ورد فعل متكرر من جانب الشمعة والطفل أى أن هناك تفاعلاً بين الجانبين وتأثيرًا وتأثرًا لكل منهما فى الآخر.

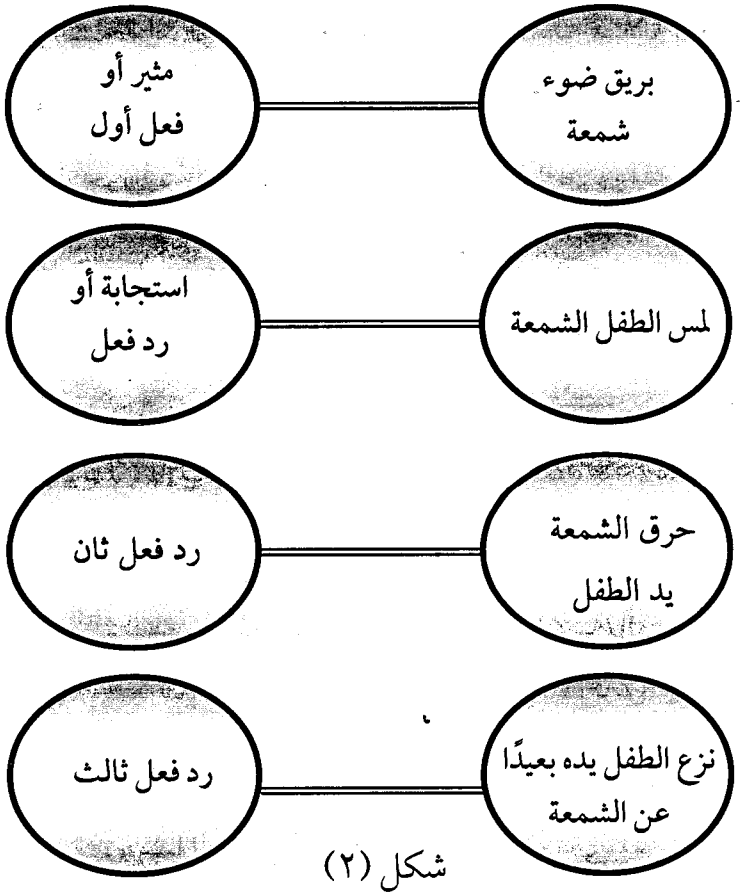

شكل (٢)

يوضح التفاعل داخل الخبرة

٤ـ توقف الطفل عن لمس نار الشمعة مرة أخرى وابتعاده عنها فى كل مرة يرى فيها الشمعة أى أن الطفل أدرك أن نار الشمعة قد أحرقت يده وسببت له ألما ، وبمعنى آخر ربط الطفل بين السبب «النار» والنتيجة «حرق يده» أى أدرك أن من خصائص النار أنها تحرق وهذه هى المعلومات التى تعلمها الطفل من هذا الموقف.

أما إذا كرر الطفل وضع يده على النار فإن ذلك يُفَسر على أنه لم يربط بين السبب والنتيجة إما لوجود ضعف فعلى عنده(أبله مثلا) ، أو أنه ربط بين النتيجة وسبب آخر يمكن أن يكون قد وقع أثناء لمسه للشمعة كحدوث صوت خارجى ، وبالتالى لا يمكن أن نقول : إن الطفل اكتسب خبرة بدون الربط بين السبب الحقيقى والنتيجة التى شعر بها الطفل.

وعليه يمكن القول بأن الخبرة لا تتحقق إلا بشروط:

١ـ موقف مثير.

٢ـ رغبة ودافعية من جانب التلميذ.

٣ـ تفاعل التلميذ مع الموقف وتأثيره وتأثره بالموقف.

٤ـ إدراك التلميذ للعلاقة بين السبب والنتيجة(الوصول إلى المعلومة المعرفية).

٥ـ توظيف هذه المعلومة فى المواقف المشابهة ، أى يكون هناك تعديل فى سلوك التلميذ وهذا التعديل يصبح جزءًا فى شخصية التلميذ.

ولقد كانت أول خبرة مباشرة تعلمها الإنسان قبل أن يهبط على سطح الأرض عندما أمر الله عَزَّ وجل آدم بأن يسكن فى الجنة التى أعدها الله له ـ قبل

نزوله على الأرض حيث أبيحت له كل ثمار الجنة إلا شجرة واحدة ، ولكن الشيطان زين لآدم الأكل من الشجرة على أساس أنها شجرة الخلود فى الجنة ، وأقسم له أنه له ناصح أمين ـ فأكل آدم من الشجرة هو وزوجه ، فبدت لهما سوآتهما [١] ، وكانا من قبل يأكلان من الجنة ولا يحدث لهما إخراج من سوآتهما. هنا أدرك آدم الخطيئة وندم على ما فعل ، وهنا عاتبه ربه على ذلك ثم تاب عليه. وبذلك أصبح آدم لديه الخبرة فى أن له عدوًا ، وتعلم كيف يتعامل معه بعد ذلك ، وأصبح مدربًا على هذه المواجهة مع الشياطين التى سيتعرض لمثلها طويلا فى معركته الدائمة هو وذريته إلى يوم القيامة.

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٥-٣٧] .

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠-٢١] .

فى هذه التجربة الواقعية تتضح أركان الخبرة وجوانبها المختلفة .

---

(١) سمى الفرج عورة ؛ لأن ظهوره يسوء صاحبه [فتح القدير] ثم ألا تكون السوءة ما يخرج من السبيلين لأنه فى الجنة رشح فقط ؟

١ـ هذا هو الموقف الذى هيأه الله بين آدم والشيطان ، فالشيطان يزين لآدم الأكل من الشجرة ويقسم له أنها شجرة الخلد وأنه له ناصح آمين. فهذا موقف إثارة لآدم .

٢ـ تحركت رغبة آدم وحبه لأن يكون له الخلد ، واندفع تحت تأثير هذه الغواية وأكل من الشجرة برغبته ودافعيته.

٣ـ التفاعل الذى حدث بين آدم والشيطان فى هذا الموقف حيث التأثير من جانب الشيطان بإلحاحه المستمر وتزينه وقسمه ، والتأثر من جانب آدم وتحرك الرغبة لديه وقيامه بالفعل وأكله من الشجرة ، ثم إحساس آدم وزوجته بسوآتهما التى بدت لهما نتيجة الإخراج ، ثم الندم والحسرة على الفعل والإحساس بالذنب الكبير ، ثم معاتبة الله لهما على ذلك ، ثم طلب آدم العفو من الله فعلمه كيف يستغفر فغفر له.

٤ـ إدراك آدم العلاقة بين النتيجة التى آل إليها والسبب الذى سبب له ذلك وهو غواية الشيطان له.

٥ـ بعد هذا الموقف أصبح آدم مهيئًا لهذه المواجهة بينه وبين الشيطان على الأرض ، فهذه التجربة هى تجربة البشر المتجددة المكرورة فلقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته مزودًا بهذه التجربة التى سيتعرض لمثلها طويلا ، استعدادًا للمعركة الدائمة بينه وبين الشياطين الذين يتربصون بالمؤمنين فى كل وقت وحين وفى كل اتجاه ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ

وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

ولا يشترط أن يكتسب الفرد كل خبراته بطريقة مباشرة فهناك الكثير من الخبرات التى يكتسبها الفرد بطريقة غير مباشرة ، حيث يتلقى الفرد المعلومات، من غيره كأن يسمعها أو يقرأها من مصدر ما ولكنه يقتنع بها ويتأثر بها وينفذها فى حياته وتصبح جزءًا من سلوكياته. فعندما نزلت الآيات تحرم شرب الخمر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

سمعها عمر بن الخطاب قال : « انتهينا . انتهينا» ولم يتطلب الأمر إلى أكثر من مناد فى نوادى المدينة : « ألا أيها القوم ، إن الخمر قد حرمت» فمن كان فى يده كأس حطمها ومن كان فى فمه جرعة مجها ، وشقت زقاق الخمر وكسرت قنانيه ، وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر .

فالخبرة فيها اكتساب معلومات ، واقتناع بها ، والعمل بمقتضاها برغبة ودافعية فهى ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وما أكثر هذا فى حياتنا سواء كان اكتسابها بطريق مباشر أو غير مباشر .

ولكن ليست كل الخبرات مرغوبًا فيها ، فهناك من الخبرات ما يكون ضارًا بالفرد والمجتمع ؛ ولذلك فخبرات المنهج هى خبرات مربية تهدف إلى خير الفرد والمجتمع وتُرضى رب العزة لذلك فالخبرات المربية لها شروط.

شروط الخبرات المربية

١ ـ أن تكون هذه الخبرات هادفة:

فيجب أن تحقق هذه الخبرات الغاية من خلق الإنسان ووجوده على هذه الأرض .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فالإنسان خليفة لله فى الأرض بهدف تعبيدها وتعميرها بما يحقق الغاية من خلقه . ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وأن تكون الحاكمية لله وحدة فى هذه الأرض وليس لأحد سواه ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .

فأى خبرة لا تحقق ذلك فهى خبرة غير هادفة وليست تربوية والعبادة هنا ليست كما يفهم البعض أنها الصلاة والصوم والزكاة والحج ولكن كل عمل يبغى فيه الإنسان وجه الله وعلى منهج الله فهو عبادة ، فالباحث فى مراكز الأبحاث ، والصانع فى مصنعه ، والطبيب فى عيادته عندما يقوم بعمله مخلصًا

لله بهدف تحقيق السعادة والتقدم للإنسان وحل مشاكله وتطوير حياته بغية مرضاة الله وتحقيقًا لمنهج الله فهو فى عباده.

وهناك من الخبرات غير التربوية التى يكون الهدف منها هو ظلم الآخرين واستعبادهم وفرض سيطرة بعض الدول على العالم كصناعة الأسلحة الجرثومية والبيولوجية والتى تضر البشرية جمعاء فانتشار مرض فقد المناعة «الإيدز» قد ظهر أصلا نتيجة هذه الخبرات المؤلمة التى تفتك بالبشرية ، وكذلك ما نواجهه الآن من محاولة البعض استخدام الهندسة الوراثية وعمليات الاستنساخ بما يخالف شرع الله والتى قد تجلب للإنسان ويلات لا يعرف منتهاها كل هذه الخبرات لا تعتبر خبرات تربوية لأن هدفها مضر بالإنسانية ويخالف هدى الله.

٢ـ أن تحقق الخبرات مبدأ الاستمرارية والتتابع:

وهذا يعنى أن أية خبرة يكتسبها الفرد يجب أن تستمر فى حياته وتصبح جزءًا من شخصيته ، كما أنها تكون امتدادًا لخبراته السابقة وتمهد لخبراته اللاحقة فتعود الإنسان على أداء الصلاة فى المساجد واستمراره فى ذلك مثل حقيقى لاستمرار خبرة الصلاة عند هذا الإنسان ، وهذا ما نلحظه فى حديث رسول الله ﷺ : « **إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**» [سنن الترمذى] ، وقوله : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « **إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط**» [سنن الترمذى] .

وهنا نلحظ الألفاظ التى بالحديثين الدالة على استمرار الخبرات فى حياة الفرد: يعتاد ، كثرة الخطا ، انتظار الصلاة بعد الصلاة . إنها لتعبر تعبيرًا صادقًا على دوام الفعل وتكراره فى حياته ، كما أن هذه الخبرة قد تعدت إلى غيرها من الخبرات حيث كونت لدى الإنسان خبرة أعمق وأكثر تعقيدًا منها وهى خبرة الإيمان وهذا ما يؤكده قول الله تعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وهذه الخاصية للخبرات المربية تمثل الترابط الرأسى للخبرات ونموها بمرور الوقت ، وعلى مر التاريخ فالحياة البشرية على كوكب الأرض ما هى إلا مثال واضح لهذه الخاصية فكل فرد يسهم بخبراته فى تطوير الحياة ثم تأتى الأجيال من بعده تبنى خبراتها على هذه الخبرات وهكذا تتطور الحياة وتستمر إلى ما شاء الله.

وهذا الترابط الرأسى يستلزم من واضعى المناهج أن تكون خبرات المراحل التعليمية المتوالية مبنية بعضها على بعض فخبرات المرحلة الإعدادية تبنى على خبرات المرحلة الإبتدائية ، وخبرات المرحلة الثانوية تبنى على خبرات المرحلة الإعدادية وهكذا ، وفى داخل المرحلة الواحدة يجب أن تبنى خبرات الصف الثانى على خبرات الصف الأول أو خبرات الصف الثالث على خبرات الصف الثانى ... وهكذا.

٣ـ أن تتكامل الخبرات فيما بينها:

وهذا يعنى أن تتكامل الخبرات التعليمية بعضها مع بعض فى الوقت نفسه بحيث تحقق وحدة الموضوع ، فالخبرات المختلفة للمواد الدراسية فى نفس السنة الدراسية يجب أن تكون مترابطة فيما بينها ، فما يدرسه التلميذ فى الرياضيات يكون مرتبطًا فى وحدة الموضوع مع ما يدرسه فى العلوم ، وما يدرسه فى موضوعات اللغة العربية ، وهكذا لأن حياة الإنسان فى الواقع ليست مجزئة بهذا الشكل ولكن خبرات الحياة وحدة متكاملة يواجهها الإنسان بكلياتها؛ ولذلك فهو فى حاجة أن يتعلمها بهذه الوحدة حتى يستطيع إدراكها وفهمها ومن ثم يستطيع ممارستها فى واقع الحياة.

٤ـ أن تكون الخبرات فى مجموعها شاملة لكل جوانب حياة الفرد والمجتمع:

وهذا يعنى تنوع الخبرات بحيث تشمل جوانب حياة الفرد الإيمانية والأخلاقية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية لأن أى ضعف فى أى جانب من هذه الجوانب يؤدى إلى ضعف عام وخلل فى شخصية الفرد المتوازن المتكامل ، فمن الخطأ الكبير أن نركز مثلا على الجانب العقلى فى التربية مهملين الجوانب الإيمانية والأخلاقية ومعتقدين أن تقدم الأمم قائم فقط على التفوق العقلى والعلمى للإنسان ، فها نحن نجد أن أعظم دول العالم تسقط وتتهاوى وتتلاشى فى بضع سنين وأصبحت أثرًا بعد أن كانت قوة عظمى مثل الاتحاد السوفيتى الذى كان يحارب تعليم الجوانب الإيمانية والأخلاقية ويدعى

أن الدين أفيون الشعوب ، وسيكون الأمر هكذا أيضًا بالنسبة للدول الغربية التى تمنع دراسة هذه الجوانب فى مناهجها تاركة إياها للمؤسسات الأهلية ؛ مما جعل الجريمة تنتشر فى هذه الدول بشكل لا يستطيع الفرد أن يخرج من بيته بعد الساعة العاشرة مساءً خوفًا على حياته كما يحدث فى لندن وواشنطن ونيويورك.

لذلك يجب أن تأخذ هذه الجوانب درجة الاهتمام نفسها فى تعليمنا مثلها مثل الجوانب العقلية حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا ، ويجب أن تكون درجات تقويم الطلاب فى هذه الجوانب ضمن مجموع درجات الطالب فى الشهادات المختلفة حتى يكون هناك اهتمام من جانب الطلاب والمعلمين بتعلمها.

كما يجب أن تكون الشمولية فى الخبرات أيضًا لجوانب الحياة فى المجتمع: اقتصاديًا ، واجتماعيًا ، وثقافيًا ، وسياسيًا.. والزراعة والصناعة والتجارة...

كما يجب أن تشمل كل التطورات المعاصرة التى يشهدها العصر مثل استخدامات الحاسبات والإنترنت وعلوم الفضاء... وما إلى ذلك.

٥ ـ أن تعمل هذه الخبرات على اكتشاف خبرات جديدة:

يجب ألا يكون الاهتمام فى المناهج مقصورًا على الخبرات المنقولة عن الآخرين فحسب ، بل يجب إكساب الفرد الخبرات التى تدفعه إلى الاكتشاف والبحث عن خبرات جديدة ويبادر بالبحث عنها واستخدامها لتطور الحياة ويكون له السبق فى هذه الاكتشافات ، وهذا لن يتأتى إلا بتزويد الفرد بخبرات البحث العلمى وأساليبه ، وأن تكون لديه القوة الدافعة لهذا البحث والاكتشاف .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق : ٦-٨] .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] .

فهذه دعوة من الله للإنسان بالبحث والاكتشاف ومعرفة مكنونات هذه المخلوقات والاستفادة بها ، بل إن الله قد دعا الإنسان للنظر فى ذاته واكتشاف ما بها إلى جانب بحثه فى الأرض . ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ ، ٢١] .

فكيف يكون لدينا هذه التوجيهات الربانية ولا يكون لنا السبق فى الاكتشافات ومعرفة الكون واستغلاله فى خدمة البشرية.

٦ـ تحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع :

لكى تكون الخبرة مربية لابد أن تحقق السعادة لكل من الفرد والمجتمع فى آن واحد فلا تركز على حاجات الفرد دون اعتبار لحاجات المجتمع كما هو الحال فى المجتمعات الغربية التى تولى حاجات الفرد ورغباته الأولوية على حساب المجتمع فالفرد فى الغرب يرتكب من الجرم أقصاه ، وقد يصل إلى إزهاق أرواح الآخرين حيث انتشرت جرائم القتل والاغتصاب أقصاها ولا يعاقب عليها القانون الغربى العقاب المناسب بما يردع عصابات الإجرام

والمافيا من النهب والإفساد فالمجرم القاتل مهما قتل وأزهق من أرواح لا يقتل بحجة حقوق الإنسان ، فلجان حقوق الإنسان تسارع للدفاع عن المجرمين بحجة حقوق الإنسان ، فهؤلاء القتلة مجرمو الحرب ومرتكبو مذابح القتل الجماعى فى البوسنة والهرسك قد يصل عقابهم فقط إلى السجن بضع سنين.

بل إن مناهج تعليمهم تكسب التلاميذ الخبرات التى بها يحق له اغتصاب حقوق الآخرين ونهب أموالهم واستعمار أراضيهم وتسخيرهم من أجل تحقيق رغباتهم ، فلقد أباد الأوربيون المواطنين الهنود الحمر أصحاب الأرض الحقيقيين فى الأمريكتين ، كما استعمر الأوربيون دول إفريقيا ونهبوا خيراتهم. والآن تمارس الولايات المتحدة الأمريكية نفس الدور لنهب ثروات العالم تحت مسمى أنها حامية حمى حقوق الإنسان على الأرض.

أما فى دول المعسكر الشرقى فى الدول الشيوعية كانت حاجات المجتمع مقدمة على حقوق الفرد فالفرد يُسخر من أجل الإنتاج وتحقيق أهداف المجتمع فهو ترس فى آلة الإنتاج ، وهذا يتعارض مع تكريم الله للإنسان وسر وجوده فى هذا الكون، كما يتعارض مع طبيعة الإنسان الفرد فالمجتمع وسيلة لتحقيق هذا التكريم للإنسان وبالتالى يجب المحافظة على الاثنين معا لتحقيق هذه الغاية.

فيجب أن تحقق الخبرات التى تقدمها المدرسة لأبنائها هذا التوازن كأن يحب الفرد للآخرين ما يحب لنفسه ، وخبرات الدين الإسلامى هى خير مثال لتحقيق هذا الشرط فالإسلام دين الوسطية فنجد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تحثنا على تحقيق ذلك . ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

وقول رسول الله ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [البخارى] وقوله : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**» [البخارى].

وقوله : « **وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما** » [سنن الترمذى].

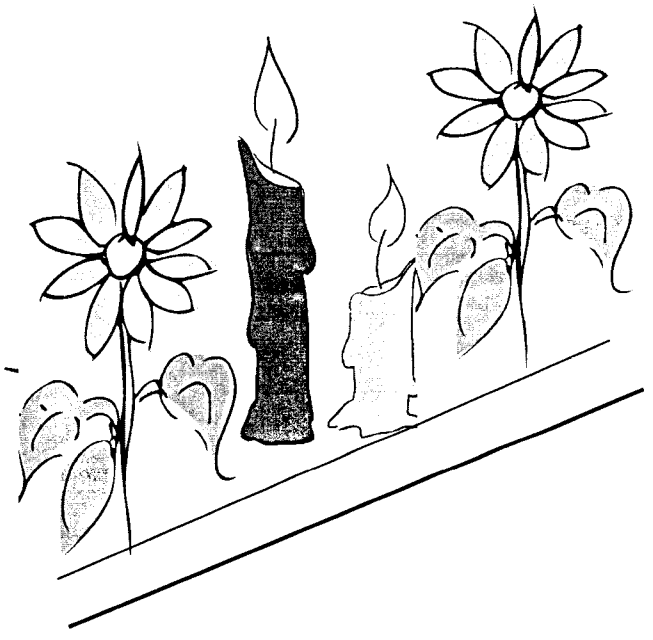

المنهج ونوع الخبرات

ذكرنا فيما سبق أن الخبرات إما أن تكون مباشرة أو غير مباشرة والخبرات المباشرة هى الخبرات التى يكتشفها الفرد نتيجة قيامه بعمل ما بنشاط ودافعية فى الموقف الذى مر به وتوصل إلى نتائجه نتيجة هذا النشاط الذاتى ، أما الخبرة غير المباشرة فهى خبرات الآخرين يكتسبها الفرد من خلال مصادر التعلم المقروءة : الكتب ، والمجلات ، والمسموعة ، والدروس ، والمحاضرات ، والندوات ، والإذاعة غير المرئية والمرئية مثل: الأفلام ، والمسرحيات.

لذلك لكل نوع من الخبرات خصائصه التى تميزه ، ولكى نحدد إلى أى مدى يمكن أن يشمل المنهج أيًا من هذه الخبرات ولماذا نستعرض أولا مميزات وعيوب كل نوع؟

مميزات الخبرات المباشرة:

١ـ إن ما يتعلمه التلميذ من خلال الخبرات المباشرة يكون ذا معنى ، فالمعلومات التى توصل إليها فى موقف الخبرة هى من إدراكه وفهمه وبذلك نقضى على اللفظية التى تشيع بين التلاميذ حيث يكرر التلاميذ الألفاظ دون إدراك معناها ، وقد يعتقد بعض المعلمين أن مجرد ذكر التلميذ للألفاظ يعنى أنه يدرك ما يقول.

٢ـ ونتيجة لأن ما توصل إليه التلميذ من نتائج يكون من نشاطه الذاتى

وله معنى فى عقله ، لذلك يكون هذا التعلم أبقى أثرًا فى ذهن التلميذ لأزمنة كبيرة.

٣ـ كما أن نشاط التلميذ وقيامه بالفعل برغبة ودافعية يجعله أكثر إيجابية فى عملية التعلم وأكثر نشاطًا واهتمامًا بما يتعلمه.

٤ـ نتيجة توصل التلميذ للنتائج بنفسه ونشاطه الذاتى يجعله أكثر ثقة بنفسه وهذا بدوره ينعكس على شخصيته التى تشعر بذاتها وتنمو بشكل صحى بدون عقد نفسية ومثيرات عصبية.

٥ـ كما أن هذا النشاط والتفاعل فى مواقف الخبرات المباشرة يحبب التلميذ فى عملية التعلم وتقلل من الإحساس بالملل والضجر.

٦ـ ونتيجة تفاعل التلميذ وإيجابيته وحبه لعملية التعلم يتكون لديه خبرة التعلم الذاتى والتعلم المستمر ، وهذا من أفضل ما تصبو إليه من تربية الفرد.

٧ـ والتعلم عن طريق الخبرات المباشرة تكسب التلميذ مهارات التفكير والبحث العلمي ، وحل المشكلات ، ومهارات العمل وهذا ما سينعكس بدوره على أن يكون هذا التلميذ فاعلا فى المجتمع وفى الحياة العلمية ، بل سيكون من هؤلاء التلاميذ الباحثون والمفكرون والعلماء.

٨ـ كما أن التعلم عن طريق الخبرات المباشرة يساعد على تكوين الاتجاهات الإيجابية المختلفة نحو العمل والبحث والاكتشاف.

٩ـ وعن طريق التعلم بالخبرات المباشرة نستطيع مواجهة خاصية الفروق الفردية ونعمل على تنمية قدرات كل تلميذ حسب ما وهبه الله من استعدادات

وإمكانات عقلية وجسمية.

١٠- يسهم التعلم عن طريق الخبرات المباشرة فى انتقال أثر التعلم لمواقف الحياة الحقيقية وبذلك يسهل تطبيق وتوظيف ما تم تعلمه فى الحياة ، ومن ثمَّ لا يشعر التلميذ بعد تخرجه وعمله بعد ذلك فى الحياة أن هناك فجوة بين ما تعلمه وما سيمارسه فى الحياة العملية.

ورغم كل هذه المميزات للخبرات المباشرة إلا أن استخدامها فى عملية التعليم والتعلم يشوبه الكثير من الصعاب والعقبات والمشكلات نذكر منها:

١- أن عملية التعلم باستخدام الخبرات المباشرة يستغرق من الوقت الكثير وعمر الإنسان قصير لا يكفى أن يتعلم كل هذه الخبرات المباشرة خلال سنين حياته ، كما أن كم الخبرات البشرية يتزايد بسرعة هائلة يصعب على الفرد الإلمام بكل هذه الخبرات ولو فى فرع واحد من فروع العلم وبذلك يصعب على مخططى المناهج أن يجعلوا عملية تعلم كل الخبرات بطريقة مباشرة .

٢- كما أن التعلم عن طريق الخبرات المباشرة يجعل الأجيال الحالية لا تستفيد بخبرات من سبقها من الأجيال الماضية ، وبهذا كلما جاء جيل من البشر يبدأ تعلمه وكشفه للخبرات من البداية ، ومن هنا لن يحدث تطور فى حياة البشر ولا تقدم.

٣- والتعلم عن طريق الخبرات المباشرة يحتاج من التمويل المادى الكثير مما يجعل التعلم مكلف وغير اقتصادى ، فالمعامل والأدوات والأجهزة تكلف الكثير ولا تستطيع أى دولة من دول العالم مهما كان غناها أن تجعل ما يتعلمه تلاميذها عن طريق الخبرات المباشرة.

٤ـ كما أن هناك مواقف قد يستحيل بها الإنسان أن يتعلم عن طريق الخبرات المباشرة لأسباب عدة:

أ ـ صعوبة الوصول إلى أماكن وجود هذه المواقف للبعد المكانى كالذهاب إلى الكواكب الأخرى أو المجرات والنجوم فى السماء، أو فى أعماق البحار أو فى قاع الأرض ، بل حتى سطح الأرض فى أماكن بعيدة مثل القطب الشمالى أو الجنوبي.

ب ـ هناك من المواقف التى تكون خطرة على الإنسان أن يمر بها فقد تذهب بحياته كمشاهدة الانفجارات النووية أو الحروب بالأسلحة الفتاكة أو المرور بمواقف غير أخلاقية كتناول المخدرات وما إلى ذلك ، فكل هذا يضر بالفرد أيما ضرر.

جـ ـ كما أن الأحداث التاريخية الماضية يستحيل إرجاعها مرة أخرى حتى يتمكن التلميذ من المرور بخبراتها ، فعجلة التاريخ لا تدور إلى الوراء.

د ـ كما أن هناك من الأشياء الضخمة التى لا يمكن للإنسان أن يشاهدها بكلياتها ؛ فهذا الكون الفسيح الضخم بل أن المجتمعات والقارات لا يستطيع الإنسان أن يشاهدها بنظرة مباشرة مرة واحدة وعلى النقيض من هذا فالأشياء الدقيقة التى يستحيل على الإنسان مشاهدتها مباشرة كالخلايا الدقيقة وكرات الدم والجراثيم والتى تحتاج إلى أجهزة مكبرة جدًا لمشاهدتها.

هـ ـ كما أن هناك من الغيبيات التى ليست فى العالم المشهود لنا والتى يجب أن تكون ضمن خبراتنا وإيماننا والتى لا نعلم عنها شيئًا إلا عن طريق الوحى

كالملائكة والجنة والنار والعرش والصراط... والإيمان بها شرط من شروط الإيمان ، بل هو أول شرط من شروط الإيمان كما توضح الآيات التالية:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ١-٣] .

مما سبق ندرك أنه من المستحيل الاعتماد فقط على الخبرات المباشرة فى عملية التعليم والتعلم ، وعليه فلا مفر من الاستعانة بالخبرات غير المباشرة ، أى الخبرات البديلة حين يستحيل أو يصعب استخدام الخبرات المباشرة للأسباب سابقة الذكر وعليه يمكن أن نبين ما تمتاز به الخبرات غير المباشرة.

مميزات الخبرات غير المباشرة:

١ـ الاستفادة من خبرات السابقين فى جميع النواحى والمجالات ، فكل ما توصلت إليه الأجيال السابقة يعتبر ثروة عظيمة للبشرية ؛ ولذلك نجد الدول المتقدمة الآن قد أنشأت ما يسمونه بنوك المعلومات وسجلت فيها كل الخبرات البشرية واحتفظت بها فى هذه البنوك للاستفادة بها ، فهناك من الخبرات ما تم التوصل إليه بعد بحوث استمرت لعشرات السنين واشترك فيها العديد من الفرق البحثية وأنفقت عليها ملايين الدولارات مثل الأبحاث الخاصة بخريطة الجينات البشرية ، فليس من المعقول عندما نريد الاستفادة من مثل هذه الخبرات أن تجرى نفس التجارب التى أدت إلى التوصل إلى هذه الخبرات وننفق الملايين ، بل يجب علينا أن نأخذ هذه الخبرات الجاهزة ونبنى عليها ونستفيد منها ونطورها.

٢ـ الاستفادة من الخبرات التى جاء بها الوحى والتى يستحيل أن يصل إليها الإنسان بعقله ولو اجتمعت الإنس والجن.

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣ ، ٢٤] .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

فمن العبث ترك الخبرات التى جاءت عن طريق الوحى من الله كى تكون للناس هداية ودستور حياة ، ثم نبحث ونجرب عن خبرات البشر فى هذا المجال ، فكل الخبرات الخاصة بالشرع والقوانين الشرعية والقيم والأخلاق والآداب والسلوك والعبادات والمعاملات كل هذه الخبرات فيها الخير كل الخير لسعادة البشرية . فكل ما تعانيه البشرية الآن من سوء أخلاقيات وفساد وظلم وويلات الحروب وتسلط الظلمة والجبابرة ودول الكفر وبغى البغاة كل ذلك نتيجة بعد البشرية عن كتاب ربها وهديه ونوره الذى أنزله للناس كافة وبعث به نبيه محمدًا ﷺ . وكل هذه الخبرات ما هى إلا خبرات غير مباشرة.

وهنا يجب ألا نُخدع بما يسمى بالفلسفة التقدمية التى لا تؤمن إلا بما يأتى عن طريق التجريب أو العقل ، ويدعو أصحاب هذه الفلسفة إلى انتقال الاهتمام بالعالم الذى نعيش فيه ونحس فيه الآلام ونستمتع فيه بالأفراح ، بدلا من التركيز على عالم آخر ودنيا أخرى ، وأن العقل البشرى لديه القدرة على

التفكير والتنظيم والتحليل والنقد ، بما يحق له انتقاد المبادئ والسلطات والأوامر والمعتقدات ، والحكم على مدى اتصالها بالحياة وعلى مقدار إسهامها فى حل المشكلات وعلى مقدار قبول العقل والمنطق لها.وهذا يعنى أن هؤلاء التقدميين يجعلون العقل البشرى يحكم على ما أنزله الله وعلى مدى صلاحيته.

إن هؤلاء مفسدون قد ضلوا وأضلوا من سار على نهجهم لاتباعهم هوى أنفسهم وتعاليهم على الله عز وجل بما وهبهم الله من عقل .﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] .

٣ـ كثيرًا ما يلجأ المعلمون إلى الخبرات غير المباشرة فى تدريسهم من أجل التمهيد لتدريس الخبرات المباشرة . فعند تدريس إحدى التجارب يقوم المعلم أولا بتزويد التلاميذ ببعض البيانات والملاحظات وخطوات إجراء التجربة ، وما يجب على التلميذ ملاحظته أثناء التجربة . وكل هذه المعلومات ما هى إلا خبرات غير مباشرة ، كما أن الباحث عندما تواجهه مشكلة ويحاول حلها فإنه يقوم بالقراءة حول موضوع هذه المشكلة لمعرفة ما كتب حول هذه القضية والتعرف على نتائج الأبحاث السابقة التى تتعلق بمشكلة بحثه للاستفادة بها فى إجراء تجاربه وكيفية حل مشكلة البحث وهذا يؤكد أهمية الخبرات غير المباشرة فى التعلم عن طريق الخبرات المباشرة.

٤ـ إن الخبرات غير المباشرة قد تكون هى السبيل الوحيد للتعلم فى حالة استحالة استخدام الخبرات المباشرة للأسباب سابقة الذكر التى تتمثل فى الاستحالة أو عدم القدرة على التوصل إلى المعلومات ، والخبرات ، وفى حالة

البعد المكانى أو الزمانى أو لخطورة الخبرات المباشرة .

٥ـ كما أن التعلم عن طريق الخبرات غير المباشرة يوفر الجهد والوقت والمال لسهولة الحصول عليها من المصادر المختلفة.

عيوب التعلم عن طريق الخبرات غير المباشرة:

١ـ قد يكون التلميذ غير إيجابى ويكون دوره سلبيًّا فى عملية التعلم إذ قد يقتصر دوره على التلقى فقط.

٢ـ عدم إثارة دافعية التلميذ وحماسه وإحساسه بالملل وفقدانه النشاط والحيوية فى التعلم.

٣ـ سرعة نسيان ما يتعلمه التلميذ.

٤ـ عدم فهم التلميذ لما يتعلمه ومن ثم تقتصر عملية التعلم على الحفظ والاستظهار مما يجعل التعلم غير ذى معنى.

٥ـ تحول التعلم إلى الجانب النظرى البحت وإهمال الجانب التطبيقى مما يفصل التعلم عن الواقع الحياتي ، ويفقده وظيفته فى الحياة.

٦ـ قد يؤدى هذا النوع من التعلم إلى عدم تنمية مهارات العمل والتفكير والاكتشاف والبحث.

ولكن كيف يمكن التغلب على مثل هذه العيوب:

١ـ استخدام الوسائل التعليمية المختلفة مثل الأفلام والنماذج والصور والمجسمات.. التى تسهم فى جعل التعلم ذا معنى وتجذب التلاميذ وتغير

اهتمامهم ودافعيتهم.

٢ـ إكساب التلاميذ مهارات استخدام مصادر التعلم المختلفة من الكتب والإنترنت.

٣ـ تزويد التلاميذ بمهارات القراءة الصحيحة ، والقدرة على الفهم والتحليل وكيفية إبداء الرأى والنقد واستخدام أساليب النقاش والحوار وإبداء الرأى أثناء عملية التدريس.

٤ـ زيادة مشاركة التلاميذ فى الحصول على الخبرات غير المباشرة بتكليفهم بالبحث عنها وتجميعها وتحليلها ونقدها ، مما يسهم فى تنمية قدرة التلاميذ على التعلم الذاتى والتعلم المستمر.

من كل ما سبق يتضح أهمية استخدام كل من الخبرات المباشرة وغير المباشرة فى تنظيم خبرات المنهج طبقا لطبيعة كل خبرة وما تتسم به مميزات وما يعترض استخدامها من صعوبات ؛ لذلك فالمناهج يجب أن تشمل كلاً من النوعين طبقا لما تمتاز به فى نفس الموقف عن غيرها ، إلى جانب أنه يجب أن تتشبع المناهج فى المراحل الأولى من التعليم بالخبرات المباشرة لمناسبتها لخصائص التلاميذ فى هذه المرحلة ، ثم تزداد جرعة الخبرات غير المباشرة كلما علت المرحلة التعليمية حتى تصبح فى المراحل الأعلى متشبعة بالخبرات غير المباشرة فيما عدا الخبرات التى تكون لها تطبيقات عملية ويحتاج الأمر فيها إلى اكتساب التلاميذ مهارات أدائية ، فإن ذلك يحتاج بالطبع إلى خبرات مباشرة لتنميتها.